

التجديد في فقه الشهود الحضاري (الواقع والآفاق)

Renewal in the jurisprudence of civilizational witnesses (reality and prospects)

الدكتورة: حنان مغني

قسم العلوم الإسلامية جامعة تلمسان - الجزائر.

ملخص:

مما لا شك فيها أنّ لكل حضارة مبادئ وأهداف تقوم عليها ولأجلها، والحضارة الإسلامية شأنها في ذلك شأن الحضارات الأخرى بيد أنّ لها مقومات خالدة لم تصل إليها أمة من الأمم، ولم تستطع حضارة من الحضارات أن تجاريها وتمائلها، والشرف في ذلك هو كتاب الله تعالى، إذ يعد الأساس الأول للمعرفة الحضارية. وقصة الحضارة مع القرآن تبدأ إشارتها من مبدأ الاستخلاف وإعمار الكون، والشهادة على الأمم دون استعلاء أو طغيان، منذ بداية تأسيسها بقيادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم باعتباره الشاهد الأول الذي كلفه الله بمهمة الشهود على أمته والأمم الأخرى، هذه المهمة التي لن تنزاح أعباؤها على عاتق الأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لكن للأسف الشديد الأمة الإسلامية اليوم في غياب كلي عن هذه المسؤولية، فهي تشهد اليوم غيابا حضاريا بدل أن يكون لها شهود حضاري، لذا يجب عليها تجديد ذاتها وأن تسعى إلى تصويب مسيرة تاريخها الحضاري من خلال العودة إلى إدراك فقه الشهود الحضاري، وهذا ماسنحاول عرضه في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: التجديد، فقه، الشهود الحضاري، الواقع، الآفاق

Abstract

:It's obvious that every civilisation has its underpinning principles and goals on which it standas upon. The islamic civilisation has the

same basics, however, it has specific timeless elements that no other civilisation has reached before. The honour is due to the Holy Coran, that explained the order of existence, and facilitates to human beings the way to know the purpose of his existence. Coran is the primary basis of knowledge and Prophet Mohamed SAWS, as the first witness of the mission of witnessing on his nation and other nations, this mission will never disappear as long as we are alive. Unfortunately, the Islamic nation is unable to accomplish its mission, and we are witnessing a total absence of civilization instead of having a civilizational presence

Keywords: modernization, jurisprudence, civilizational witnesses, reality, prospects .

مقدمة:

تحتل الحضارة العربية الإسلامية موقعا متميزا بين الحضارات ، وذلك لقيامها على ركيزة القرآن الكريم، فجاءت حضارتها نورانية وهاجة ، وقد بدأت قصة الحضارة العربية الإسلامية مع نزول أولى آيات الذكر الحكيم، فسطع نورها لينير أرجاء المعمورة وتستأنس وتستنير به الإنسانية على اختلاف أمصارها وعصورها. فهي ليست حدثا عارضا في حياة الإنسانية، ، وليست زبدا طافيا يذهب جفاء، وإنما هي ذات معدن أصيل ينفع الناس في كل زمان ومكان، ومهما أفل نجمها وأحجبت شمسها بعوائق شدتها إلى الغروب، تعود إلى كتابها الكريم تستقي منه مقوماتها التي ترفعها مجددا إلى سماء الظهور وتجعل منها نجما متألقا مجددا بطلوع فجرها من جديد.

فالزمان لم يعقم ، والحياة لا تزال خصبة مثمرة، وإنّ العلم لم ينقطع عطاؤه بعد، وما يزال في أمة الإسلام خير كثير، إذ لا تزال هناك نخبة من العلماء و المفكرين ورجال الدين يستطيعون التجديد والتطوير، والتّهوض بالإسلام من

جديد، وذلك بترسيخ موروثه الحضاري، فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها).¹

والأمة الإسلامية اليوم لها أحوج أن تسعى بجد وهمة لتصويب مسيرة التاريخ الحضاري من جديد من خلال إدراكها لمقومات البناء الحضاري، وضوابط الديمومة والعطاء، مع التّمعن في عوامل الأقول والغيب. وهذا ما سنحاول التّطرق إليه في هذه الورقة البحثية من خلال الطرح الآتي: ما المقصود بفقه الشّهود الحضاري؟ ولماذا خصّ الله عزوجل به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم والملل؟ وكيف يمكن لها أن تفقه أساسيته ومرتكزاته وتسعى إلى إحيائها وتجديدها؟

وللإجابة على هذه التساؤلات سنحاول الوقوف على المحاور التالية:

أولاً: مدخل مفاهيمي للمصطلحات المفتاحية نحاول أن نقف فيه على معرفة مفهوم كل من مصطلح التّجديد، الفقه، الشّهود الحضاري.

ثانياً: المرتكزات الأساسية لتجديد فقه الشّهود الحضاري ومن خلاله سنتعرف على العناصر الأساسية التي يجب أن تتوفر حتى تتحقق هذه المهمة الجليلة التي خصّ الله بها الأمة الإسلامية تكليفاً وتشريفاً، كما نحاول أن نوضح العوائق التي تشكل عقبة في طريق النهوض مع ذكر في مقابل ذلك مقومات التّجديد التي تمتلكها الأمة الإسلامية والتي يمكن على ضوءها تجديد حضارتها واستئناف مهمتها في الشّهادة على الأمم.

الأهداف: وبطبيعة الحال وراء كلّ موضوع بحث هدف ومقصد وغايتنا من التّطرق لهذا الموضوع يمكن إجمالها في النّقاط الموجزة الآتية:

* محاولة لفت الانتباه إلى قضية الفقه الحضاري، والإشارة إلى أنّها فريضة إسلامية لا تقل في أهميتها عن أيّ فريضة أخرى من فرائض الإسلام، وأنّ العمل من أجلها عبادة لله تعالى خصوصاً وأنّ الغاية الأولى من خلق الله تعالى للإنسان

¹ "سلسلة الأحاديث الصحيحة" محمد ناصر الدّين الألباني: "، ج 2، ص 150 حديث صحيح رواه أبو هريرة، وأخرجه الحاكم في المستدرک، وهناك من ينكرون صحة هذا الحديث.

هي خلافته عزوجل في أرضه وتعميرها ، وذلك لن يكون إلا بعمل صالح وبناء حضاري.

*الدعوة إلى التجديد الحضاري لاستئناف مهمة الشهود الحضاري التي كلفت بها الأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم والملل وذلك بالعودة إلى القرآن الكريم وإدراك مقومات النهوض الحضاري والنظر في عوامل السقوط والأفول، فالقرآن الكريم أصل للقيم الحضارية ، وأسس لسبل النهوض الحضاري بأسلوب قصصي ممتع يقنع العقل ويطرب النفس ويضرب مثالا رائعا للتوجيه التربوي الحضاري والذي يعد رصيда كافيا للأمة الإسلامية حتى تنبعث من جديد في استئناف مهمتها في البناء والشهود الحضاري.

*السعي إلى بيان أهمية العناية بالدراسات الحضارية ودعوة أهل الفكر والاختصاص إلى إبراز معالم حضارتنا الخالدة وقيمها المثالية الرائعة حتى تكون عبرة وموعظة لجيل الشهاده.

المنهج المتبع : وقد نهجنا فيما كتبنا نهج الاستقراء تارة، وذلك بالنظر فيما قاله المفكرون عن فقه الشهود الحضاري، ومنهج التحليل والاستنباط تارة أخرى وذلك باستنباط الأسس والمقومات التي ينبغي أن تحقق الشهود الحضاري من خلال نصوص القرآن الكريم.

أولاً: مدخل مفاهيمي للمصطلحات المفتاحية

أ - مفهوم التجديد:

1 - لغة : جاء في لسان العرب التجديد من جد ، والجدة ، تجدد الشيء ، وأجدّه صيره جديداً، ومنه جاءت تسمية العرب : الأجدان والجديدان وهما الليل والنهار وذلك لأنهما لا يلبيان أبداً، والجدة نقيض البلى.²

2 - اصطلاحاً: أمّا إذا عدنا إلى التجديد من جانبه الاصطلاحي فهو يشير إلى حالة من التغيير الإيجابية التي يجب الوصول إليها فمثلاً يقول محمد الطاهر بن عاشور إنّ "التجديد جهد علمي وعملي من أجل إصلاح الأفراد من حالة سيئة إلى أخرى أحسن"

² ينظر: "لسان العرب": ابن منظور ، ج 1 ، ص 386.

وقد يكون التجديد لغرض إدراك حقائق الدين أو من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال وإما من جهة تأييد سلطانه وهو يدل على الأبعاد الثلاثة للتجديد: بعد الفهم، بعد العمل به، وبعد المحافظة عليه.³

وهذا التعريف يؤكد أنّ التجديد ضرورة تاريخية وحضارية ما دام ينشد تغيير واقع الإنسان وفهمه لحقائق الدين، وهنا يجب التأكيد على أنّ التجديد لا يقصد به تجديد الدين بل تجديد الفكر الديني لأننا يجب أن نميز بين المقدس الثابت وبين فهم هذه النصوص وربطها بتطورات الحاضر لأنّ ديننا يمثل المقدس الثابت لكنه صالح لكل زمان ومكان، وفي هذا الإطار يؤكد زكي الميلاد "أنّ التجديد في الفكر الإسلامي لا يمكن أن يتحقق بدون إعادة قراءة التراث من جديد، وبمنهج العقل التقدي، وعلى أساس فلسفة التواصل وليس الانقطاع، وبخلفية الهضم والاستيعاب، وسعياً نحو التجاوز والإبداع. كما لا معنى للتجديد، إذا لم يبدع الفكر الإسلامي معاصرته وحدثاته في إطار شروطه التاريخية والثقافية، ويبرهن على قدرته في مواكبة العصر، والانخراط في تجربة الحداثة العالمية، والمشاركة في إنتاج المعرفة الإنسانية."⁴

فمن خصائص هذا الدين الإسلامي الذي بعث به خاتم الأنبياء محمد - صلى الله عليه وسلم- أنّه يحتوي على جميع مقومات التّحضر والتّقدم والرّقي والتّجديد الذي يمكن للأمة العربية الإسلامية أن تشيد به على الأرض حضارة إنسانية وتقوم بمهمتها المنوطة بها في الشّهادة الحضارية على الأمم.

ب - مفهوم فقه الشهود الحضاري:

1 - تعريف الفقه: الفقه في اللغة : العلم بالشيء والفهم له ، فقه فقهاً بمعنى علم علماً، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه.⁵

³ "تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة": محمد الطاهر بن عاشور ، ص 113

⁴ "تجديد الفكر الإسلامي ومنطق الاجتهاد": زكي الميلاد <http://www.annabaa.org>

⁵ ينظر: "لسان العرب": ابن منظور، مصدر سابق، ج 5، ص 150

أما اصطلاحاً : هو "علم الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية ولهذا الفقه أصوله التي تعلي أدلته الإجمالية وكيفية الاجتهاد فيها واستنباط الأحكام، وقواعد ذلك ، وشروط من يقوم به"⁶.

2- تعريف الشهود الحضاري: الشهود الحضاري مركب إضافي مكون من كلمة : الحضارة ، وكلمة الشهود.

● تعريف الحضارة: الحضارة في اللغة حسب ابن منظور _ مشتقة من الفعل حضر على وزن فعل، والحضور نقيض الغيب والغيبة، والحاضر: الحي العظيم، والقوم إذا حضروا الدار. وأيضا : حضر يحضر حضورا وحضارة، والحضر: خلاف البدو، والحضارة: الإقامة في الحضر على خلاف الإقامة في البادية.⁷

يستنتج من هذا أنّ المفهوم اللغوي للحضارة حسب رأي ابن منظور ذو وجهين: - الحضور بمعنى الشهود وهو نقيض الغيب أو الغياب، وكثيرا ما تردد هذا المعنى في القرآن الكريم في استعماله لمادة حضر⁸ من ذلك قوله تعالى: (كِتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأُولَادَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)⁹، أي إذا أتته وشهدها.

- الحضارة بمعنى التقدم والرقي بخلاف البداوة التي تعتمد على بساطة العيش. - اصطلاحاً: لم يتفق الباحثون في التاريخ والاجتماع والفكر الحضاري على تعريف جامع مانع للحضارة، وإنما اختلفت تعريفاتهم تبعاً لاختلاف عقائدهم ومذاهبهم¹⁰، ومع هذا الاختلاف يرى عبد العزيز التويجري أنّ التعريف الجامع المانع لمصطلح الحضارة: "هو أنها تعبير عن منظومة العقائد والقيم والمبادئ، وجماع النشاط البشري في شتى حقول الفكر والعلوم والآداب والفنون جميعاً، لافرق بين فن

⁶ "فتاوى الأئمة وأصول الفقه الحضاري": سيف الدين عبد الفتاح ، بحث مقدم إلى مؤتمر الإفتاء في عالم مفتوح الواقع

المائل والأمل المرتج، ص 1

⁷ ينظر: "لسان العرب": ابن منظور ، مصدر سابق، ج 2 ، ص 103

⁸ ينظر: "المفردات في غريب القرآن": الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، ص 122

⁹ سورة البقرة: الآية 180

¹⁰ ينظر: "خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل" عبد العزيز بن عثمان التوبخري:، ص11.

وآخر، وما يتولد عن ذلك من ميول ومشارب وأذواق تصوغ نمط السلوك، وأسلوب الحياة، ومنهجاً للتفكير، ومثالاً يحتذى ويقتدى به، ويسعى إليه.¹¹ مما يلاحظ على هذا القول أنّ الحضارة مصطلح شامل لخصوصية الأمم والمجتمعات الإنسانية، ومن هذا المنطلق كان لكلّ حضارة خصوصيتها التي تنفرد بها عن غيرها من الحضارات الأخرى.

أمّا الحضارة في المفهوم الإسلامي: فهي مجموعة "القيم والأخلاق والعقيدة الخلاقة، والخصائص الإنسانية العليا التي ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، وتكون دافعاً له إلى تسخير ما خلق الله فيما أمر به، لأنّ إنسانية الإنسان هي قيمته العليا الدافعة وقانونه في نفسه ومجتمعه، فيجب أن تكون موضع النظر والاعتبار وتصرفه في المادة التي هي من نعم الله يجب أن يكون على شكل يحقق الاستفادة والنفع والهداية والشكر لواهب هذا الفضل والإحسان، عندئذ يكون الإنسان متحضراً راقياً مشيداً لصرح من الاستقرار والسعادة والتقدم".¹²

فالحضارة في المفهوم الإسلامي ما هي "إلا ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة"¹³، والسعي إلى إعمار الأرض وتحقيق البشر لمبدأ الاستخلاف، يقول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...) ¹⁴ ويقول أيضاً عزّ وجل: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ) ¹⁵، وهذا ما فقهه الجيل الأول من المسلمين بقيادة نبهم محمد صلى الله عليه وسلم، فأشادوا على الأرض حضارة عُرِفَت بالحضارة الإسلامية.

2 _ الشَّهَادَةُ: لغة: مشتق من شهد، ومن أسماء الله عز وجل "الشَّهيد"، الأمين في شهادته، وقيل الشَّهيد الذي لا يغيب عن علمه شيئاً، والشَّهيد: الحاضر وهو

¹¹ المرجع نفسه: ص 12

¹² "الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية": توفيق يوسف الواعي، ص 49.50

¹³ منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، ص 19

¹⁴ سورة البقرة: الآية 30

¹⁵ سورة هود: الآية 61

الذي يشهد على الخلق يوم القيامة، قال الله تعالى : " إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " ¹⁶ ، وشهد شهودا أي حضره وقوم شهود، أي حضور. ¹⁷

اصطلاحاً: " الشَّهود هو الحضور وقتا بنعت المراقبة، ووقتا بوصف المشاهدة، فما دام العبد موصوفا بالشهود والرعاية فهو حاضر، فإذا فقد حال المشاهدة والمراقبة فهو غائب " ¹⁸.

أمّا الشهود الحضاري هو " الأساسيات التي قامت عليها الحضارة الإسلامية والتي منها ينبغي أن نجدد هذه الحضارة " ¹⁹.

فالحضارة الإسلامية هي الحضارة الشَّاهدة على الحضارات السَّابقة واللاحقة ، وقد كلفها الله سبحانه وتعالى بمهمة الشَّهادة على سائر الأمم باعتبارها أمة وسطا ، قال الله عز وجل : " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا " ²⁰ والظاهر أن الأمة الإسلامية اكتسبت وسيطتها هذه من منهجها الذي اختاره الله لها شعارا فجعل قرآنها شاهدا على الكتب السَّابقة، ورسولها شاهدا على أمته والأمم السَّابقة، قال تعالى : " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا " ²¹. وجعلها هي بما تؤمن به من قيم القرآن والبيان النبوي، وبما تحقّقه من كمال واكتمال شاهدة على الأمم شهودا تاريخيا من خلال القصص القرآني، وشهودا واقعيّا من خلال تقويمها للحاضر بقيم القرآن، وشهودا مستقبليّا من خلال بيان معالم طريق النجاة والصّراط المستقيم، ووضع الضّوابط التي تحمي السّائر من السّقوط ²² ، وكلّ هذا ما هو إلّا رصيد للأمة الوارثة التي انتهت إلها القيادة الدينية لتعتبر بها وتبني عليها ما يمكن أن يطلق عليه الشَّهود الحضاري ، فالشهود الحضاري أمانة واستخلاف

¹⁶ سورة الإسراء : الآية 78.

¹⁷ ينظر :: " لسان العرب " : ابن منظور مصدر سابق ، ج - 3 ، ص 239.

¹⁸ " موسوعة مصطلحات التصوف " ، رفيق العجمي ، ص 114.

¹⁹ عبد المجيد عمر النجار : " الشهود الحضاري للأمة الإسلامية " ، ج - 1 ، ص 30.

²⁰ سورة البقرة : الآية 143.

²¹ سورة النساء : الآية 41.

²² " حتى يتحقّق الشهود الحضاري " : عمر عبيد حسنة ، ص 12.

شرف الله به أمة خاتم الأنبياء وحملهم إياها تكليفا وتكريما، وفي هذا الصدد يقول سيد قطب: " فالرسول عليه الصلاة والسلام يشهد على هذه الأمة ويحدد منهجها واتجاهها ويقرر صوابها وخطأها، وهي تشهد على الناس بمثل هذا، فهي القوام على البشرية بعد نبيها، وهي الوصية على الناس بموازين شريعتها وتربيتها وفكرتها عن الكون والحياة، ولن تكون كذلك إلا وهي أمينة على منهجها العريق المتصل الوشائج المختار من الله تعالى " ²³.

إن هذه المكانة التي منحها الله تعالى للأمة الإسلامية لمكانة عالية حقا، بيد أنها لا تقوم على الإدعاء بل على البلاغ ولا تقوم على البطالة والخمول بل على التضحية والجهد. وتكمل المشوار الذي بدأه النبي صلى الله عليه وسلم وتسير على خطاه، لتكون بالفعل رسالة عالمية صالحة لكل زمان ومكان يقول الشيخ محمد الغزالي " إن الله ربى محمد ليربى به العرب، وربى العرب بمحمد ليربى بهم الناس كافة " ²⁴، ومما لا ريب فيه أن محمد عليه الصلاة والسلام قام بما فرض الله عليه فشرف الحضارة العربية الإسلامية، هذه الحضارة التي هي اليوم في أمس الحاجة إلى التّهوض من جديد، لذلك من واجب المسلمين أن يعودوا إلى قرآنهم الكريم فهما وفقها وتدبرا ويحملوه نبراسا على مناكب الحياة المعاصرة فتتجه أبحاثهم في نبعه الرائق، وتبرز لهجة التحدي الصارخ في آياته الزاكريات التي تنسج خيوط الفجر القادم الذي سيمزق ظلمات الحضارة المادية، وتشرق شمس الحضارة الإسلامية من جديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها " ²⁵.

فعوامل التجديد والتّهوض باقية في هذه الأمة، والتاريخ يشهد أن هذه الأمة أصابها نكسات ونكبات كبرى منذ نشأتها، لكن سرعان ما تغلب على عوامل الضعف وتتوحد من جديد بعد شتاتها وتجمع أشلاءها الممزقة.

²³ " في ظلال القرآن : سيد قطب -، ج -1-، ص 33.

²⁴ " من مقالات الشيخ الغزالي " : محمد الغزالي : جمع عبد الحميد حسانين حسن، ج -3-، ص 184.

²⁵ " سلسلة الأحاديث الصحيحة " : محمد ناصر الدين الألباني مصدر سابق، ص 150.

وحتى تكتسب الأمة الإسلامية دور القيادة من جديد، لابد عليها من تغيير الذات الإنسانية أولاً وإصلاحها، قال الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"²⁶ ثم بعد ذلك تكون شاهدة على الآخر بعلمها ومعرفتها، وتحسن تعاملها مع الكون الذي أبدعه الله وسننه بشكل متناسق، وبالتالي تضمن العناصر الأساسية التي بفضلها يمكن لها أن تحقق الشهود الحضاري أو كما يسميه البعض فقه الشهود الحضاري.

3 - فقه الشهود الحضاري: "الفقه الحضاري - إذن - هو حسن الفهم للمسألة الحضارية برمتها وللمسائل المتفرعة عنها، بما فيها من تكليف كليّ وتنظيمات وتأسيسات داخل الحضارة الواحدة وفيما بين الحضارات"²⁷. فهو "يبدأ من الاستيعاب الحضاري، للقضايا والقيم والأفكار من كل الجوانب، من حيث أصلها وأجوائها وملابساتها وتفرعاتها، ثم الإدراك الحضاري لمنزلة قضايا الحضارات، إلى أن يصل هذا الفقه إلى توجيه "السلوك الحضاري" ليخرج إلى حيز الاستفادة العلمية فردياً وجماعياً، وممارسة في الحياة وليصل إلى وضع المناهج الحركية الحضارية لسلوك الأمم مواكبا الفطرة النقية والرسالات الإلهية والاعتبار بالحوادث والأخبار بما يحرك عناصر الفاعلية الإنسانية والأممية حضارياً، فتحقق الأمم ذاتها وبناءها ونماءها وبقائها، وتحقق البشرية تعارفها وتعي تدافعها وترضى بتداول المواقع في توازن وميزان لا عن تخاذل وهوان، ولا عن استكبار وطغيان"²⁸

فالفقه الحضاري يقصد به الاستيعاب الحضاري وفق رؤية إسلامية²⁹، فيدرك الإنسان مهمته وأنه الركن الفعال وفق ما أمر الله به فيستمد مقوماته الإيمانية، ويحرك قواعده المادية ليصنع كيانا حضارياً يثبت به مهمته الوجودية التي خلقه الله من أجلها في الأرض، ويحقق دوره في الشهود على الناس.

²⁶ سورة الرعد: الآية 11.

²⁷ "فتاوى الأمة وأصول الفقه الحضاري": سيف الدين عبد الفتاح: "مرجع سابق، ص 1

²⁸ ينظر: "حتى يتحقق الشهود الحضاري" عمر عبيد حسنة، ص 12.

²⁹ ينظر: "الفقه الحضاري" نادية مصطفى وسيف عبد الفتاح موسوعة الحضارة الإسلامية، إشراف: محمود حمدي

زقزوق، ع - 4، ص 102.

وفي ظل أجواء التّخلف الذي تترنح تحت أغلاله الأمة الإسلامية منذ دهر من الزّمن ،هي في حاجة لعمل حضاري يعيدها لذاتها ويعيد ذاتها إليها، وذلك العمل لا يمكن أن يتم من خلال جهود محدودة بل يحتاج إلى تضافر جهود.³⁰ بدايتها إعادة صياغة الإنسان إسلاميا حتى يسترجع الشّخصية المسلموبة والإنسانية الضائعة.

وعليه فالحضارة في عالم اليوم فريضة إسلامية لا تقل في أهميتها للمسلمين عن أيّ فريضة أخرى من فرائض الإسلام الأساسية مثل الصّلاة والصّوم والزّكاة والحج³¹، وهذه الفريضة لن تؤدي إلا بصحوة إسلامية، ووعي حضاري نابع من نفوس مؤمنة بالتغيير متصفة بالوسطية والاعتدال بين الرّوح والمادة، سارية على المنهج القرآني .

ثانيا: المرتكزات الأساسية لتجديد فقه الشّهود الحضاري

إنّ من خصائص هذا الدّين الرّباني ومقوماته الدّاتية، أنّه ينطوي على جميع عناصر الإحياء والنّهضة التي تعود بالأمة المسلمة إلى موقع الشّهود الحضاري مستأنفة لدورها مؤدية لرسالتها الإنسانية السّامية،" فلقد كانت بيانات العقيدة الإسلامية بيانات شاملة لكلّ عناصر الحقيقة الوجودية، ولكلّ مناحي التّصرف الإنساني، لذلك يجب على حركة التّجديد الإسلامي السّاعية إلى تحصيل نظام حضاري بديل أن تفقه حقيقة الوجود الإنساني من خلال الجمع بين معجزة الله في كتابه المسطور - القرآن الكريم -وقدرته الخلقية في كتابه المنظور - الكون -، كما يجب عليها أن تدرك سبل استلهاهم المنهجية القرآنية لتحقيق الشّهود الحضاري ، هذه المنهجية القرآنية التي فسرت الوجود والحياة الإنسانية وفق مبدأين اثنين هما 1 - مبدأ الاستخلاف

2 - مبدأ التسخير

³⁰ "البعد الحضاري للأمة المسلمة في دعوة نبي الرحمة " سعيد حارب، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، ع-352، ص-19.

³¹ ينظر: " الحضارة فريضة إسلامية " محمود حمدي زقزوق ، ص 10.

بهما فقط يستطيع الإنسان تجاوز عوائق الحياة، ويصنع حضارة الأمة الشاهدة³²، "فأصول الفقه الحضاري مصب لعدة عناصر: "نظام معرفي يتمثل في الجمع بين قراءة الوحي، وقراءة الكون ولآليات توليد فكري عمادها الاجتهاد والتجديد، ولتكامل المنهج بالجمع بين فقه النّظر، وفقه الواقع، وفقه التّزّيل."³³ فالشهود الحضاري لا يتحقق إلا بالصورة المعرفية الحاضرة، التي يبدها الإنسان لما يعتقده في الكون والحياة وبأسس يستخلصها من كتاب الله تعالى.

أ - عناصر الشّهود الحضاري: حتى تعود الأمة الإسلامية إلى قلب الفاعلية العمرانية والحضارية، وتكرم بوسام الشّهادة الحضارية، لا بد من توفرها على عناصر أساسية وقد بين لنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي - رحمه الله - في كتابه منهج الحضارة الإنسانية في القرآن هذه العناصر التي يمكن إجمالها في شكل معادلة رياضية امتثالا بمعادلة مالك بن نبي للحضارة التي صاغها كالتالي: حضارة = إنسان + تراب + وقت مع ضرورة وجود مركب فعال يجمع بين هذه العناصر، وهو الذي اصطلح عليه مالك بن نبي مصطلح الفكرة الدينية³⁴.

أما معادلة الشهود الحضاري فهي كالتالي : الشّهود الحضاري = الإنسان الشّاهد + الكون + الحياة الإنسانية، وهذه العناصر الثلاث لا تؤدي مهمتها الشّهودية، إلا إذا توفر ما يصطلح عليه "المعرفة القرآنية."

1- الإنسان الشّاهد والمسؤولية الحضارية: يمثل الإنسان العنصر الفعال في العملية الحضارية، إذ لا يمكن أن تقوم حضارة بدون وجوده فهو وحده صانع الحضارة، وهي وحدها التي تعطيه الشّرف والامتياز، فالحضارة الحقيقة هي التي تضع الإنسان في قمة اهتماماتها حسب رأي مالك بن نبي في نظريته الحضارية، فهو مقياسها الأساسي، لكن ليس أي إنسان يمكنه أن يصنع حضارة، فكان من

³² ينظر: الجمع بين القراءتين-قراءة الوحي وقراءة الكون: طه جابر العلواني، ص 13

³³ فتاوى الأمة وأصول الفقه الحضاري، سيف الدين عبد الفتاح مرجع سابق، ص 3

³⁴ ينظر: "شروط النهضة"، مالك بن نبي، ترجمة: عمر مسقاوي وعبد الصبور شاهين ص 50

الأفضل أن يجعل لهذا الإنسان صفة تميزه ليحقق حضارة، ولعل أفضل صفة هي الإسلام والتوازن، فيقول: إنسان مسلم متوازن = حضارة.³⁵

ولا توجد حضارة جعلت الإنسان أولى أولوياتها مثل الحضارة الإسلامية التي جاء خطابها الديني موجهاً له، فالقرآن الكريم وهو يبني الحضارة يخاطب الإنسان من حيث كونه إنساناً، ومن حيث المهمة الجليلة التي كلفه الله بها، وهي خلافة في أرضه ليعمرها ويصنع عليها حضارة يتوارثها بنو البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"³⁶، وقد فقه الإنسان مسؤولية هذه التي طأطأت الجبال رؤوسها فرارا من حملها، وتناعت استحياء من ثقلها، ورجفت السماوات والأرض من هولها، وتصدى لها هو وحده معلنا صرخة التحدي في وجه هذه المخلوقات الكونية التي سخرت له طوعا وكرها، وجعل فيها سيذا مكرما. لكن هذه الوراثة الحضارية لم يحظ بها جميع البشر، وإنما فقط عباد الله الصالحين، قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا..."³⁷

ومما لاشك فيه أن الأمة الإسلامية هي المعنية بهذا الخطاب لأن دينها هو الدين الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء، قال الله تعالى: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ"³⁸، هذا الدين الذي بفضله صنع أصحابه حضارة الأُمس، وبالعودة إليه سيصنعون حضارة الغد، فإنسان الأمة الإسلامية هو إنسان الخلافة، وإنسان الحضارة، وإنسان الشهادة، وهو الذي تمحور عليه حديث القرآن الكريم، لكن ما يلاحظ في عالم اليوم أن الإنسان المسلم في غياب كلي عن الساحة الحضارية وهو

³⁵ ينظر: زكي أحمد: "مالك بن نبي ومشكلات الحضارة - دراسة تحليلية نقدية -"، تقديم: جودت سعيد، ص-84.

³⁶ سورة البقرة: الآية-30-

³⁷ سورة النور: الآية -55-

³⁸ سورة آل عمران: الآية-19-

المكلف الأول بمهمة الشهود، فاستعادة العزة التي كتبها الله لعباده المؤمنين، وتمكينهم في الأرض لن تكون بالكسل والخمول وإنما بالاجتهاد والعمل.

2- الحياة الإنسانية: يعد الوقت قيمة من القيم الحضارية الأساسية التي نبه إليها الإسلام وحث على الالتزام بها، وجعلها من ضمن المسؤوليات الكبيرة التي يسأل عنها الإنسان يوم القيامة³⁹، وقد حاول القرآن الكريم في حديثه عن الزمن الإنساني أن يحرك عند الإنسان إحساسه الواعي من أجل أن يهتم بعمره، وأن يتعامل مع وحدات الزمن بحرص لئلا يمر عليه يوم دون أن يستثمره في نشاط إيجابي يقدم فيه الخير لنفسه وللإنسانية جمعاء يقول الله تعالى: "وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ"⁴⁰، فالمعنى الحقيقي للحياة الإنسانية في القرآن الكريم هو "التصور الإيماني الحقيقي للحياة"⁴¹ والحياة الإنسانية هي نفسها الوقت الذي عدّه مالك بن نبي عنصراً أساسياً في بناء الحضارة وعرفه بقوله: "إنه جوهر الحياة الذي لا يقدر"⁴²، فالزمن الذي أراده مالك بن نبي ليس تلك الدورة الفلكية، وإنما هو مقياس لإنجاز عمل حضاري، وعليه فإنّ من واجب الفرد المسلم أن يستثمر زمنه في هذه الحياة في الاهتمام بشؤون المسلمين ويبدل غاية جهده في سبيل تصحيح أوضاع المسلمين، وفي أداء الأمانة، التي أنيطت له..

3 - الكون كوجود تسخيري: إذا كانت الحياة هي الوعاء الزمني للإنسان، فالكون هو الوعاء المكاني لها. وما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من وهن حضاري ما هو إلا نتيجة غياب الحس الديني عن الكون لدى أفرادها، فحتى تعود الأمة الإسلامية إلى عزّها الحضاري لا بد من بناء منهجي في التعامل مع الكون، وربط العلاقة بينه وبين القرآن الكريم، وإدراك العلاقة بين الله سبحانه وتعالى والكون المسخر.⁴³ فقد جعل الله من خطاب التكليف ضرورة النظر في السماوات والأرض، واكتشاف

³⁹ ينظر: "القيم الحضارية في التصور الإسلامي" محمود حمدي زقزوق، موسوعة الحضارة الإسلامية، مصدر سابق، ص-36.

⁴⁰ سورة العصر: الآية 1-3

⁴¹ الشاهد البوشيخي: "مفهوم الحياة في القرآن الكريم"، مجلة حراء، العدد 17، ص-11.

⁴² شروط النهضة: مالك بن نبي، ص-145.

⁴³ الجمع بين القراءتين: طه جابر العلواني، مرجع سابق، ص-13.

قوانين التّسخير الكوني، قال الله تعالى : " وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"⁴⁴، فمن الأمور التي لفت القرآن الكريم إليها نظر المسلم هي التّأمل في ظواهر الكون وتدبره، وأن يكون على دراية معرفية بالفكر الكون، حتى يتمكن من السعي إلى تحقيق مبدأ الاستخلاف والتّعمير والبناء ، إذ من المستحيل أن تقوم حضارة بدون طبيعة، وما يثبت صحة هذا القول نظرية مالك بن نبي الحضارية، الذي عدّ التّراب وهو عنصر كوني أساسا في بناء الحضارة، والكون هو نفسه التّراب وإن كان الأول أعم، وكلاهما يحققان مفهوم الانتماء للإنسان للإمكانات والطّاقات والثّروات المعدنية والزّراعية التي توفر في مجتمع من المجتمعات هي ملكيته الخاصة⁴⁵، وقياس ذلك على الكون وظواهره فما هي إلّا ملك مسخر للإنسان الذي جعله الله سيّدا مكرما فيها.

3-المعرفة القرآنية : "هي الجوانب والطرق التي يرمي القرآن الكريم إلى أن يعملها للإنسان."⁴⁶ فجوانب المعرفة في القرآن ليست قاصرة على نوع معين من العلم، فالقرآن الكريم يمثل الأساس الأول للمعرفة الإسلامية في شتى مجالاتها، فهو المصدر الأول والأهم للمسلم ليستقي منه كل ما ينفعه في دنياه وآخرته و مما لا شك فيه أنّ غياب مشروع الشّهود الحضاري الذي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم ما هو إلّا نتيجة غياب معرفي، فالمعرفة القرآنية هي المركب الفعال الذي يدمج العناصر السّالفة الذّكر في قالب واحد، تتفاعل مع بعضها البعض لتقدم إنجازا حضاريا، ولعل المعرفة القرآنية هي نفسها الفكرة الدّينية التي عدها مالك بن نبي العامل الذي يؤثّر في مزج عناصر الحضارة الثلاثة بعضها ببعض⁴⁷، وعليه لا بد من التّمعن في المنهج المعرفي القرآني ليرى الإنسان المسلم أنّ قيم الهدم والتّخريب والعصيان، وقيم البناء والتّعمير والاستجابة ممتدة في التّاريخ البشري،

⁴⁴ سورة الجاثية: الآية-13-

⁴⁵ "مالك بن نبي ومشكلات الحضارة": زكي أحمد، مرجع سابق، ص-83-

⁴⁶ "سلسلة معالم المعرفة القرآنية" إسماعيل محمد عبد الرحمان، ج-1، ص-3-

⁴⁷ ينظر: شروط النهضة": مالك بن نبي مصدر سابق، ص-50-

ومتى ما وقف الإنسان وقفة تدبرية مع القرآن سيقف على هذه العوائق فيتجنبها، ويقف على المقومات فيقتدي بها.

ب - عوائق في طريق التجديد الحضاري: إن المعرفة القرآنية وتوجهاتها تؤكد أن هناك قوانين وسنن تحكم حركة التاريخ الحضاري لا تختلف ولا تحابي أحداً، قال الله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس"⁴⁸، لذلك جاء الخطاب الرباني إلى الأمة الخاتمة بالدعوة للسَّير في الأرض والتَّبصر بالعواقب التي انتهت إليها الحضارات البشرية البائدة حتى تأخذ العبرة، لكن ومع ذلك فالأمة الإسلامية تملك مقومات حية وباقية بقاء كتابها الذي تعهد الله بحفظه، قال تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"⁴⁹، وعليه فضعف المسلمين وتخلفهم الحضاري سببه تخاذل من المسلمين أنفسهم، وتجاهلهم لمقومات حضارتهم، فتخلفت الأمة، وتوقف الاجتهاد وجمدت العقول عن التفكير، وعجز المسلمون عن مسابقة الزَّمن، فحذوا حذو الحضارة الغربية يقلدونها تقليداً أعمى، متنصلين من هويتهم ومتنكرين عن مبادئهم،⁵⁰ فتعثر خطاهم أكثر فأكثر، وجلسوا على كرسي الإعاقة الحضارية بدل كرسي الأستاذية الحضارية، وحتى تصبح الأمة الإسلامية قادرة على النهوض الحضاري من جديد، ينبغي عليها أن تعرف العوائق التي أعاقها عن الحركة الحضارية فتداوئها، وتساهم مرة أخرى في تحقيق عالمية هذا الدِّين والشَّهود على العالمين. ومن بين تلك العوائق التي تشهدها الأمة الإسلامية اليوم ما يلي:

1- الكفر والجحود: يعد الكفر من أكبر العوائق التي تهدم صرح الحضارة، والانهيار الحضاري يكمن أساساً في لب العقيدة الفاسدة، وما يتفرع عنها من تصورات ومفاهيم منحرفة فالإيمان أساس الصَّلاح، والكفر أساس الفساد، وهو من أكبر الأمراض التي أقعدت الأمة الإسلامية على فراش التَّخلف فأفل نجم حضارتها، وغربت شمس إنسانيتها. والكفر في هذا المقام قد لا يكون مقصوداً به الشُّرك

⁴⁸ سورة آل عمران: الآية-140-

⁴⁹ سورة الحجر: الآية-9-

⁵⁰ ينظر: "الحضارة الإسلامية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار" محمد عادل عبد العزيز، ص-7-

الأكبر، لأنه من المستحيل أن تتنصل الأمة الإسلامية من عقيدتها كلية وهي خير أمة أخرجت للناس، وإنما قد يراد بالكفر الذي يشكل عائقا في طريق الشهود الحضاري، كفران النعمة والوجود بها، هذا المعول الذي هدم أركان الحضارة الإسلامية. قال الله تعالى: " فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ."⁵¹

2 - الظلم: يعد الظلم من أبشع الصور التي تبرز فيها الحضارة الآيلة للسقوط، ولهذا حفل القرآن الكريم بتبشيعه وبيان وخيم آثاره على الحضارات والأمم، وأي حضارة اتسمت بالظلم إلا وأذن نجمها بالأفول يقول الله تعالى: " ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ "⁵²، فكيف إذا تعلق الأمر بأمة بعثت بإقامة العدل، فالظلم هو السوسة التي نخرت عظام الحضارة الإسلامية ولازالت، فقوضت عرش سيادتها، وهدت أركانها، وهي من بعثت لتقيم العدالة على وجه الأرض، فالظلم هو من دفع نجم الحضارة الإسلامية إلى الأفول.

3 - الترف: مظهر من مظاهر الحضارة، وهو يدل في بعض مواطنه على ازدهارها وقوتها، وفي المقابل يعد سوسة إذا نخرت في هياكل الحضارة خرّ سقفها على الأرض وتهاوت أعمدها بلا قرار، فالترف فيه طغيان وبطر، وإذا طغى على النفس الإنسانية جعلها تنسى رسالتها في الحياة، وهذا ما يحدث مع الأمة الإسلامية اليوم، "فالعبرة لاذعة بيد أنها تصور الحق المجرد، يوم قادهم الإيمان قامت لهم دولة ترعى الخير والشرف، ونصر للآخرين العقائد والقيم، فلما أسلموا زمامهم للشهوات، ومزق وحدتهم الترف وحب الدنيا، لم يبق لوجودهم معنى..."⁵³

4 - الذنوب: سبب من أسباب هلاك الحضارات " أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا

⁵¹ سورة سبأ: الآية 16-17-

⁵² سورة آل عمران: الآية 131-

⁵³ "علل وأدوية" محمد الغزالي،،، ص 30.

آخِرِينَ"⁵⁴ ، وما شقت الحضارة الإسلامية وتعثرت في طريق تحقيق الشهود إلا بسبب ذنوب أثقلت ظهر الحياة وعجزت بها رحابة الأفق

5 - التزعة المادية الصرفة: الحضارة التي تطمح بالبقاء، وتريد الارتقاء بالإنسان، هي تلك الحضارة التي تتحكم في نقطة التوازن بين المادة والروح، فالإغراق في المادة يطمس روح الإنسان في الظلمات وتطمس معه الحضارة، والإنسان المسلم غدا اليوم إنسانا ماديا، خاليا من نفحته الروحية ، ولو كانت المادية وحدها صانعة الحضارات ما صورها القرآن بهذه الصورة الخائبة، قال الله عز وجل: "اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"⁵⁵ ، فالحضارة الرائدة هي التي ترسم لأبنائها طريقا متوازنا بين المادة والروح، صالح لخير الدنيا ونعيم الآخرة. قال الله تعالى: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ"⁵⁶.

ج - مقومات التجديد الحضاري: إن الأمة الإسلامية تمتلك من المقومات ما يحفظ شخصيتها، وتمتلك من الأسباب ما يحقق نهضتها ، هذه المقومات التي تمثل الثابت في تاريخ هذه الأمة لا تتغير لا بزمان ولا بمكان، فهي مصدر قوتها ومنبر إمامتها ، يقول الإمام الغزالي " فليس الإسلام طليقة فارغة تحدث دويا ولا تصيب هدفا، إنه نور في الفكر، وكمال في النفس ونظافة في الجسم، وصلاح في العمل، ونظام يرفض الفوضى، ونشاط يحارب الكسل، وحياة مواراة في كل ميدان"⁵⁷ ، وعليه فالأمر في تحقيق الشهود الحضاري متوقف على مدى المحافظة على المقومات مع الأخذ بالأسباب، فصحيح أن القرآن الكريم جاء بقيم ثابتة، لكن ترك الباب مفتوحا في إدارة الخطط وصياغة البرامج للفكر البشري⁵⁸ ، وتفعيلها،

⁵⁴ سورة الأنعام: الآية -6-

⁵⁵ سورة الحديد: الآية -20-

⁵⁶ سورة القصص: الآية -77-

⁵⁷ جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج" محمد الغزالي ، ص-3-

⁵⁸ ينظر: "فقه التدين فهما وتنزيلا"، عبد المجيد عمر النجار، تقديم: عمر عبيد حسنة ، ج-2، ص-23-

فتذهب المفسدة وتعم المصلحة، وتقوم الصّحوة الإسلامية بارة بفقّه دينها، مؤدية لوظيفتها التي كرمها الله بها في الشّهادة على الأمم ومن بين هذه المقومات:

1- الإيمان بالله والاعتقاد الصحيح: مما لاشك فيه أنّ الإيمان بالله هو أساس مقومات الأمة الإسلامية التي به صنعت مجد حضارتها. وهو الأصل الذي تتفرع منه فروعها، ويقصد به التّصور الاعتقادي الصحيح"، أو هو ذلك التّصور عن الله والكون والإنسان والحياة الذي ترسمه العقيدة الصحيحة، فيسير الإنسان على دربها ويستضيء بنورها، ويعلم موقعه في هذه الحياة ويدرك رسالته فيها، فيخرج من العقائد الفاسدة والتّصورات المنحرفة التي تنتج نتاجا حضاريا فاسدا، والحضارة الإسلامية لها ميزتها الفكرية الخاصة التي استمدت أصولها من ذلك الاعتقاد الدّيني الصحيح، وهو الإيمان بالله ربّا واحدا لا شريك له، قال الله تعالى: " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ"⁵⁹، فما على أبنائه اليوم الذين هم في غياب حضاري كلي إلا أن يعودوا إلى الإيمان بالله، "فالإيمان هو خميرة التّهوض وشرطه اللازم لعودة الدورة الحضارية، إذا استطاع المسلمون امتلاك المقومات واستعادة الفاعلية".⁶⁰

2 - العلم النّافع: العلم مفتاح الحضارة، ووسيلة بنائها، فهو أول ما أنزل من وحي السّماء على النّبي محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: " اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"⁶¹ ، فما من حضارة في التّاريخ كانت أبجديتها الأولى (اقرأ) سوى حضارة الإسلام التي أجّلت العلم وقدسته، والعصر الذي تعيشه البشرية اليوم قدس فيه العلم أيضا ، لكن نهج به أربابه نهج الباطل وأذاقوا البشرية ويلاته وابتكروا وسائل التّدمير الهائلة، التي صبّت على الشّعوب المستضعفة مرارة ضرورها وجعلت العلم وسيلة لاستعباد الأمم وذلتها.

⁵⁹ سورة الإسراء: الآية-23-

⁶⁰ "فقّه التدين فهما وتزيلا"، مرجع سابق، ص-5-

⁶¹ سورة العلق: الآية 1-5

وحتى تعود الأمة الإسلامية إلى دورها الأساسي بين الأمم، وتحقيق الشهود الحضاري الذي كلفها به الله سبحانه وتعالى يجب عليها أن تمتلك علما نافعا وعملا صالحا تنفع به نفسها والإنسانية جمعاء.

3 - العمل الصالح: العمل قيمة من القيم العليا، التي تحرص عليها كل أمة راشدة، وهو ميدان فرسان بناء الحضارة الذي تنافست فيه إرادات فولاذية وهمم عالية، فكسرت حواجز التخلف وارتقت بالأمة الإسلامية إلى العلياء، فكانت شواهد صادقة وبراهين ساطعة على صدق المعتقد، والهمة العالية في جديته، والإيمان والعمل قرينان لا وجود لواحد بدون الآخر، قال الله تعالى: "وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ"⁶²، والفهم الصائب للعمل الصالح دفع المسلمين في سالف عهدهم إلى إنشاء حضارة عريقة، ضربت جذورها في أعماق التاريخ الإنسان ومن المؤسف أن ما تعاني منه الأمة الإسلامية اليوم من غياب حضاري، سببه مشكلة العمل، إذ غدت طاقات المسلمين معطلة ماديا ومعنويا، والأمة الإسلامية لها موارد جديرة بأن تكون وصفاً على طريق الإقلاع الحضاري إذا وجدت من يحركها ويقودها نحو طريق الحضارة.

4- التوفير المادي: يعد الاقتصاد قوة كبرى تساهم في دفع الحضارة إلى طريق الصعود، ومدّها بأسباب الحياة، وغدا الاقتصاد في عالم اليوم متحكماً في السلطان والقوة، يحرك حضارات نحو القمة ويردي بأخرى إلى قاع الهاوية، والنظر إلى الاقتصاد في الحضارة الإسلامية كمقوم من مقومات لا يختلف عن سائر المقومات في تفرعها عن الإيمان بالله وانبثاقها من التصور الاعتقادي الصحيح، وقد ربط القرآن الكريم ما بين الأمن الاقتصادي والتوفير المادي وبين العبادة، قال الله تعالى: "فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ"⁽⁶³⁾ والبشرية اليوم لحي أحوج ما تكون إلى دين الإسلام وعدالته الاجتماعية الاقتصادية، بعدما تلظت بنار الاقتصاد الغربي.

⁶² سورة البقرة: الآية-25-

⁶³ - سورة قريش: الآية 3 - 4.

5- الأمن والنظام السياسي : لا يمكن لحضارة على وجه الأرض أن تعيش، دون أن تستقر، ولا يمكن لها أن تستقر وتنهأ مالم تستظل بظل نظام سياسي يحميها، وللنظام السياسي منزلة هامة في البناء الحضاري، فهو يعكس صورة الحضارة سلبا أو إيجابا ، ومن قواعد النظام السياسي التي يجب أن تعود إليها اليوم الأمة الإسلامية حتى تحقق الشهود الحضاري :الحاكمية لله تعالى ، العدل والمساواة ،الشورى ،الخلافة . إذ

من أهم عوامل تدهور الحضارة الإسلامية تحويل مسارها من العدل والإخاء إلى مهووي الاستبداد والفساد.

ثالثا: الوعد الإلهي بالوراثة الحضارية للأمة الإسلامية:

من المعلوم أنّ الحضارات والأمم كالبشر تمر بحالات من الضعف والقوة، بل إنّ بعض الحضارات تموت وتبقى أثرا بعد حين، وخبرا يروى في بطون الكتب، قال الله تعالى : " فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"⁶⁴ ، فذلك عدل الله سبحانه وتعالى الذي اقتضاه في سنن نهوض الأمم وسقوطها، غير أن من امتيازات الحضارة الإسلامية أنّها لا تموت، وهي باقية إلى أن يرث الله الأرض، فعوامل التجديد وعناوين النهوض باقية في الأمة العربية الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وإن تعطلت القافلة الإسلامية وتأخرت عن الركب الحضاري، فحتما ستأتي يقظة صحوة الخير المرجوة، ويشرع العامة والخاصة بنفض غبار الكسل عنهم، وتحريك همتهم في استئناف المشروع العتيق⁶⁵، مشروع الشهود الحضاري "فالمستقبل لنا لا علينا وأنّ حكمنا الذي انهار سيقوم مرة أخرى شامخا عزيزا"⁶⁶، وذلك وعد الحق الصمد الذي يقول في محكم تنزيله: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُم

⁶⁴ سورة النمل : الآية - 52 -

⁶⁵ ينظر: "الطريق من هنا" محمد الغزالي، ص 63

⁶⁶ "الدعوة الإسلامية في القرن الحالي" :محمد الغزالي ، ص 177

الْفَاسِقُونَ⁶⁷، بيد أن هذا الوعد لن يتحقق إلا إذا فقهت الأمة الإسلامية دورها في استئناف مشروعها الحضاري في الشَّهادة على الإنسانية وجمعت أشلاءها الممزقة وسعت إلى التجديد، بهذا فقط يجدر بالأمة الإسلامية أن تستأنف من جديد مسيرة الشَّهود الحضاري، وتترع على عرش أستاذيتها الحضارية بين الأمم، ذلك التَّشريف الذي جعله الله عز وجل قدرا مقسوما في الأمة الإسلامية، وقضائه الذي لا يتبدل، رفعت الأقلام، وجفت الصحف، وصدق وعد الحق الصَّمد في أمة صدقت ما عاهدت الله عليه، إذا ما هي عادت إلى قرأتها الكريم ودستور العظيم تستقي منه التَّربية الحضارية، وتستشرف به آفاق المستقبل المنيّر.

خاتمة: بعد هذه الوقفة الموجزة مع موضوع فقه الشَّهود الحضاري الذي يطول الحديث فيه ولا يمكن لورقات معدودة أن تفي به وبمجالاته توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

أولاً: الشَّهود الحضاري أمانة واستخلاف شَرَف الله به أمة خاتم الأنبياء، وحملهم إياها تكريماً وتكليفاً. فالشَّهود الحضاري، هو الحضور المعياري الفعال، هو مكانة الأستاذية الحضارية، هو واقع الأمة الإسلامية حين تنحت لنفسها مكاناً بين الأمم، ولا يكون ذلك إلا بهدي القرآن الكريم وسنة نبيه عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام.

ثانياً: إنَّ التجديد في فقه الشَّهود الحضاري في عالم اليوم فريضة إسلامية لا تقل في أهميتها للمسلمين عن أيّ فريضة أخرى من فرائض الإسلام الأساسية، وهذه الفريضة لن تؤدي إلاّ بوعي حضاري نابع من نفوس مؤمنة بالتَّغيير متصفة بالوسطية والاعتدال بين الرُّوح والمادة، سارية على المنهج القرآني الذي يلائم حاجاتها الحضارية.

ثالثاً: مهمة الشَّهود الحضاري لا تقوم إلا بتوفر عناصر أساسية أهمها الذات الإنسانية المسلمة المفعمة بالإرادة والإمكانات الكونية المسخرة، مع الأخذ بعين الاعتبار بمقومات التَّجديد والتَّهوض، وعلى رأسها الإيمان والعلم والعمل الصَّالح، والتَّبصر بالعوائق التي تبرز فيها الحضارة الآيلة للسقوط.

⁶⁷ سورة النور: الآية 55

رابعا: الأمة الإسلامية باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ففيها بذرة الديمومة والبقاء، وهذا ببشائر نصية تزينت بنور القرآن الكريم، ومشكاة السنة النبوية الشريفة، وبواعث الأمل تتحفز للغد المشرق، لأن الحضارة الغربية المادية أهلكت البشرية، بخرابها ودمارها، ومآلها حتما إلى الغياب والأفول.

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: الكتب:

- 1_ ابن عاشور محمد الطاهر: "تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة"، تونس الشركة التونسية للنشر دط، 1985م.
- 2 - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: "لسان العرب"، لبنان، بيروت، دار صادر، ط 1، 1997م، ج 1-
- ابن نبي، مالك: "شروط النهضة"، ترجمة: عمر مسقاوي وعبد الصابور شاهين، سوريا، دمشق، دار الفكر، ط-6، 1427هـ - 2006م.
- 4- أحمد، زكي: "مالك بن نبي ومشكلات الحضارة - دراسة تحليلية نقدية"، تقديم: جودت سعيد، لبنان بيروت، دار الصفوة، ط-1، 1413هـ - 1992.
- 5 - الأصفهاني، الراغب: "المفردات في غريب القرآن"، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، لبنان، بيروت، دار المعرفة، دط، دت.
- 6- الألباني، محمد ناصر الدين: "سلسلة الأحاديث الصحيحة"، بيروت، المكتب الإسلامي، ط-1، ج-1، 2، 1399هـ - 1977م.
- 7- البوطي، محمد سعيد رمضان: "منهج الحضارة الإنسانية في القرآن"، سوريا، دار الفكر، ط-1 1998م.
- 8- التويجيري، عبد العزيز بن عثمان: "خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل"، الرباط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط 2، 1436هـ _ 2015م.
- 9 - حسنة، عمر عبید: "حتى يتحقق الشهود الحضاري"، دمشق، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دط، 1412هـ-1991م..

- 10- زقزوق، محمود حمدي: "الحضارة فريضة إسلامية"، القاهرة، مكتبة الشروق، دط، 2011م
- 11- عبدالرحمان، إسماعيل محمد: "سلسلة معالم المعرفة القرآنية"، مصر، جامعة الأزهر، دط، ج 1 1431هـ
- 12- عبد العزيز، محمد عادل: "الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار"، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، دط، دت.
- 15- عبد الفتاح، سيف الدين: "فتاوى الأمة وأصول الفقه الحضاري"، الكويت، المركز العالمي للوسطية، بحث مقدم إلى مؤتمر الإفتاء في عالم مفتوح الواقع المائل والأمل المرتجى، من 26 إلى 28 ماي 2007 م.
- 16- العلواني، طه جابر: "الجمع بين القراءتين-قراءة الوحي وقراءة الكون-"، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط-1، 1996م.
- 17 - الغزالي، محمد: "جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج"، مصر، نهضة مصر، دط، يناير 2005م.
- 18- الغزالي، محمد: "الدعوة الإسلامية في القرن الحالي"، القاهرة، دار الشروق، دط، دت.
- 19- الغزالي، محمد: "الطريق من هنا"، القاهرة، دار الشروق، دط، دت.
- 20- الغزالي، محمد: "علل وأدوية"، الجزائر، دار المعرفة، دط، دت.
- 21_ قطب، سيد: "في ظلال القرآن"، القاهرة، دار الشروق، ط 1، 1972م.
- 22- محمد الغزالي: "من مقالات الشيخ الغزالي"، جمع عبد الحميد حسانين حسن، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط - 4، ج - 3، س يناير 2005، ص 184.
- 22_ النجار عبد المجيد عمر: "الشهود الحضاري للأمة الإسلامية"، دار الغرب الإسلامي، ط 2، ج 1،
- 23- النجار، عبد المجيد عمر: "فقه التدين فهما وتنزيلا"، تقديم: عمر عبيد حسنة، سلسلة كتاب الأمة قطر، ط-1، ج-1، 1410هـ

27- الواعي، توفيق يوسف: "الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية"، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط 2 ، 1425هـ - 2004م .

ثانيا: الدوريات:

أ - الموسوعات:

1- موسوعة الحضارة الإسلامية :إشراف:محمود حمدي زقزوق،القاهرة ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،العدد-4،-1426هـ-2005م.

2- موسوعة مصطلحات التصوف :إشراف: رفيق العجم ، ط 1- ، 1996م
ب - المجلات:

1-مجلة حراء: تركيا ، اسطنبول، العدد 17 سبتمبر 2009م

2- مجلة الوعي الإسلامي ، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ع-352 -
سبتمبر 2010م،

ثالثا: المواقع الإلكترونية:

http://www.annabaa.org الاجتهاد ومنطق الإسلامى الفكر تجديد الميلاد، زكي